دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان الغربي
القرن 5 هـ - 10هـ / 11 م - 16 م

أ. ميهوب بن فــارح
المركز الجامعي آفلو - الجزائر

مقدمة:

تذكر المصادر العربية الإسلامية أن العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة الأدنى، الأوسط، الأقصى وبلاد السودان الغربي ترجع إلى القرن الأول هجري السابع ميلادي، وذلك من خلال التجار المسلمين الذين كانوا ينقلون الثقافة والعلوم العربية الإسلامية مع تجارتهم إلى بلاد السودان الغرب[1]، ذلك المصطلح الذي أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة التشاد شرقا والتي ضمت عددا من الوحدات السياسية مثل غاو والتكرور وغانة ومالي [2] .

و قد ارتبطت هذه المنطقة بعلاقات وصلات تجارية وثقافية مع بلاد المغرب منذ أمد بعيد بفضل تيسر الاتصال بين المنطقتين بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة، فالصحراء وما يرتبط بها من أهوال ومخاوف كانت عاملا من عوامل اتصال، ولعل من أبرز عوامل هذا الاتصال هو انتقال العلماء والفقهاء[3] المغاربة إلى بلاد السودان وما كان لهم من أثر كبير على تغيير ذهنيات وعادات ومعتقدات مجتمع بلاد السودان الغربي خاصة بعد الدعوة المرابطية وهنا يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي :

من هم هؤلاء العلماء المغاربة؟ وما علاقتهم بدولة المرابطين؟ وما هي أبرز المراكز الثقافية في بلاد السودان الغربي؟

1- الدعوة المرابطية في السودان الغربي:

لقد لعبت الدعوة المرابطية دورا هاما في كسر الحاجز الوثني وإدخال المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية إلى مناطق شاسعة من السودان الغربي، كما عملت على فتح الباب على مصرعيه أمام التجار والدعاة والمعلمين والفقهاء والمتصوفة والمهاجرين المتدفقين صوب المنطقة، ولقد تغلغلت حركة المرابطين من الجهة الغربية من الصحراء الكبرى وعلى كاهل قبائل صنهاجة التي عاشت بتلك المنطقة، وهي لمتونة ومسوفة وجدالة تحت قيادة زعيم سياسي هو يحي بن ابو ابراهيم، وفقيه ديني هو الفقيه المالكي الإمام عبد الله بن ياسين وذلك حوالي النصف الأول من القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي[4].

و يبدو أن دعوة ابن ياسين الإصلاحية لم تلق قبولا كبيرا نتيجة لانتشار الجهل والخرافة والبدع والبعد عن مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، وهذا ما دعاه إلى الاعتكاف والاعتزال في ما عرف تاريخيا باسم رباط ابن ياسين.

و يتحدث ابن خلدون عن الدور الهام الذي لعبه المرابطون في نشر العقيدة الإسلامية و ثقافتها بأنه ما إن أسلموا وتوحدوا تحت راية الإسلام حتى صاروا يرسلون الدعاة والعلماء في تجدير مفاهيم وقيم هذه العقيدة الجديدة[5] .

و من المعروف أن معظم الاتصالات الثقافية ما بين بلاد شمال افريقيا وبلاد السودان الغربي كانت تمر عبر المغرب التي يقصد بها كل من الجزائر، تونس والمغرب الأقصى ولقد لعبت هذه البلاد دورا متميزا نتيجة لموقعها الإسلامي والتيار الوافد عبر البحر الأبيض المتوسط والتيار الأندلسي، إضافة إلى المؤثرات الثقافية.

و تبلورت هذه التيارات جميعا في النهضة الكبرى التي شهدها بلاد المغرب منذ بواكر تدفق الحضارة العربية الإسلامية إلى ربوعها في القرن الأول الهجري السابع ميلادي والجدير بالذكر أن الصلات الثقافية بين بلاد المغرب والسودان الغربي كانت ضاربة الجذور حيث أن المؤثرات الثقافية بحتة فالدارس هناك يحس وكأنه درس بمدارس فاس[6] او مراكش[7] أو القيروان أو تلمسان [8] .

وذلك لأن تلك المؤسسات التعليمية بالمنطقة كانت تنتهج أسلوب التعليم المغربي ومقرراته و حتى طريقة الكتابة كانت متأثرة بالطابع المغربي[9]

2- الفقهاء المغاربة في بلاد السودان الغربي:

و لعل من أبرز مظاهر هذا التأثير العلمي وتلك الاتصالات الثقافية التي تمت بين بلاد المغرب

و بلاد السودان الغربي ذلك الإثراء العلمي الذي تركه العالم الجليل الإمام المجدد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي يمم صوب بلاد السودان ووصل إليه في أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي إلى غاو عاصمة مملكة سونغاي والتقى بالأسكيا محمد الكبير و عمل مستشارا وسياسيا وفقيها له[10].

و كذلك العالم الشهير محمد بن يوسف السنوسي 832 هـ - 895 هـ / 1428 م - 1490 م، عالم بلاد المغرب الكبير في عصره ومؤلف التصانيف العديدة التي من أشهرها **عقيدة أهل التوحيد**

و تسمى العقيدة الكبرى، والفقيه أحمد بن يحي ابن محمد الونشريسي 843 هـ- 914 هـ / 1493م - 1508 م الذي كتب مؤلفه **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب.**

و كذلك الفقيه أبو القاسم التواتي الذي رحل صحبة ثلة من العلماء واستقر بتمبكتو وجلس فيها معلما بالجامع الكبير وكذلك الفقيه عبدالقادر بن يوسف الفاسي 1007 هـ - 1091 هـ / 1598 م - 1680 م الذي اشتهر بعلمه الغزير وذلك لأنه سليل أسرة آل يوسف الفاسية الشهيرة بنبوغها العلمي.

3- العلوم الشرعية المنقولة من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي :

أ- القراءات والتفسير:

لما كان القرآن الكريم هو مصدر العقيدة والمعرفة لدى المسلمين لذا حرصوا على مداومة قراءته ليلا نهارا وكبارا رجالا ونساءا، وأن علمه من أحسن الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى الخالق البارئ لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** " و لذا حرص علماء المسلمين على الاهتمام بقراءته حتى أصبح علم القراءات والتجويد علما مهما بين علوم القرآن خاصة والدراسات الشرعية عامة.

و قد ازدهرت علوم القراءات في السودان الغربي في الفترة هذه الدراسة وكان من المشاهير هؤلاء العلماء الذين ساهموا في ازدهار علم القراءات سيد عبد الولي الجيلالي حامل لواء فن القراءات في زمانه ومدرسها وخاصة رواية ورش[11]

و من مشاهير القراء البارزين أيضا الفقيه ابراهيم الزلفي المقرئ وعالم التجويد الشهير وكان من اشهر المدرسين في مدرسة الفقيه ابي القاسم التواتي الواقعة قبالة مسجد تنبكت.

و من مشاهير القراء عمر بابا ستربن الفقيه أندغ محمد 1002هـ / 1593م ومن سكان مدينة جني وكان فقيها وعالما جليلا ومنهم سيدي عبد الرحمن بن الفقيه القاضي سيد علي بن عبد الرحمن الأنصاري المسناني 1008 هـ / 1599 م كان فقيها مؤدبا، مقرئا جيدا، دفن في مقابر الجامع الكبير بتنبكت [12]

برز من القراء عبد الله بن أحمد برى ابن أحمد الفقيه أندغ محمد الجد 1010 هـ / 1601م، برع في بعض الفنون وكان فقيها متفننا في زمنه متواضعا قارئا اشتهر في زمنه بعلم القراءة و التوثيق بالإضافة إلى النحو واللغة والفتوى[13].

و من شيوخ القراءات بالسودان الغربي الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج و الشيخ ابو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمير بن حبيبب بن الفقيه المختار 1014هـ/ 1605 م و كان بارعا في عدد من الفنون منها القراءات من أهمها قراءة ورش عن نافع.

أما عن التفسير فبرز علماء أجلاء من أهمهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال كتابة تفسير فاتحة الكتاب والبدر المنير في علوم التفسير.

و الفقيه احمد بن عمر بن عثمان بن عبد الله التنبكتي الذي كان عالما فقيها ومتفننا في التفسير

و كان من كبار المفسرين والمدرسين بسنوكري[14]

برز في ذلك الوقت وفي مجال التفسير العالم العلامة الفقيه محمد بن محمود بن بغيغ الونكري الذي كان من خيار الصالحين واشتهر بحبه للعلم ورجاله وقد أمضى أغلب أوقاته في التدريس في مختلف العلوم ومن بينها التفسير، واشتهر باستاذيته للفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي درس عليه العديد من بينها علوم التفسير[15]

وكذلك العلامة احمد بابا التنبكتي صاحب المؤلفات العديدة في شتى العلوم ومن بينها علوم التفسير الذي كان بارزا فيه.

ب- الحديث الشريف:

و يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، علم الحديث الشريف الذي يعد ثاني مراتب المعرفة الإسلامية ومصادرها، وتأتي أهمية الحديث النبوي الشريف في كونه هو أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وقد جاء مكملا لما ورد في القرآن الكريم.

و إنطلاقا من ذلك كله أهم مسلمو السودان الغربي بدراسة الحديث الشريف ومن أقدم هؤلاء الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب باع طويل في هذا الفن[16].

و من علماء الحديث الفقيه محمد بن أحمد التازختي وقد كان عالما وفقيها محدثا ومتفننا متقنا و درس العلوم في بلاده ثم رحل إلى المغرب والمشرق لمزيد التسهيل العلمي، فاخذ عن علماء الحديث[17] .

و من علماء الحديث كذلك الشيخ عبد الرحمن بن عدلي بن أحمد القصري 956 هـ /1549 م الذي تلقى علوم الحديث وغيرها من العلوم الأخرى وقد جلس معلما بمدارس السودان الغربي في الموطأ وكتب السنة المعتمدة في علم الحديث[18].

و من بين العلماء العلامة المحدث الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت الذي كان بارعا في عدد من العلوم من بينها علم الحديث وكان صادقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومدرسا للصحيحين في مسجد سنوكري في شهور رجب ورمضان نحو 25 سنة.

جـ - الفقه والأصول:

لقد عرفت دور العلوم والعبادة في هذه الفترة في تاريخ السودان الغربي إنتشار كتب الفقه المالكي المعروفة في العالم الإسلامي آنذاك وهي مختصر خليل وجامع المعيار وتحفة الحكام و مختصر الفروع والمدونة والرسالة وموطأ مالك وغيرها ومن أشهر علماء الفقه العالم عبد الكريم المغيلي إمام المحققين وتاج الدعاة والمدرسين والرحالة القدوة وقد استفاد من علمه الغزير جماعة من علماء المغرب والسودان منهم الفقيه العقاب بن عبد الله الأنصمني والفقيه أيد أحمد ومحمد بن عبد الجبار الفيجيجي وغيرهم[19] ومن أهم مؤلفاته في مجال الفقه المالكي (مصباح الأرواح في أصول الفلاح).

و هناك فقهاء من أمثال الفقيه محمد بن أحمد التازختي الذي ألف شرحا لمختصر خليل والفقيه العقاب بن عبد الله الأنصمني الذي رحل إلى المشرق ونهل من علومه ورجع إلى السودان الغربي ومن أهم مؤلفاته أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير[20].

د- التصوف وآدابه:

و من العلوم الإسلامية التي ازدهرت بالسودان الغربي التصوف وآدابه ويتحدث بن خلدون عن ماهية علم التصوف بقوله: **".... من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم مرجعية الحق و الهداية وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة... طالما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"**[21]

و يرجع الفضل في ظهور هذا العلم إلى الطرق الصوفية وأبرزها في هذه الفترة التاريخية هي الطريقة القادرية التي دخلت الى بلاد السودان الغربي حوالي القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي وقد لعبت دورا هاما في نشر الإسلام وذلك بالقدوة الحسنة ولذلك لم يمر وقت طويل حتى أصبح هؤلاء الدعاة من رجال الطرق الصوفية يتغلغلون في أقاصي بلاد السودان الغربي و ينشرون الإسلام والعلم والتصوف.

و هذا يؤكد عناية بعض علماء السودان الغربي بالتصوف واهتمامهم بآدابه وجمع الأذكار و التعرف إليها وتأليفهم في هذا المجال وخير دليل على ذلك الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان له الفضل في نشر التصوف وعلومه بالمنطقة خاصة وأن المغيلي كان أستاذ لسيدي عمر بن الشيخ سيدي احمد البكاي الكنتي المتوفي في عام 959 هـ / 1551 م وهو احد أقطاب الذين ساعدوا على نشر التصوف في بلاد السودان الغربي والقاضي عثمان درم الذي كان عالما صالحا

ورعا زاهدا وليا مكاشفا وله من الكرامات والمناقب الكثيرة والدعاء عند قبره مستجاب ومجرب كما يقول صاحب تاريخ الفتاش[22].

و من الادلة في انتشار علم التصوف بالسودان الغربي ان الفقيه احمد بابا يقول انه درسها على يد شيخه محمد بغيغ [23] ولذا برز أحمد بابا في مجال التصوف وكتب في هذا المجال عدة كتب من بينها الدر النظير في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير، وخمائل الزهر ونشر العبر. ومما يؤكد الميول الصوفية لاحمد بابا هو حرصه الدائم على طلب الدعاء والبركة من شيوخ الصوفية فلا يكاد يمر باسم شيخ من شيوخهم الا وقال نفعنا الله ببركته الى غير ذلك مما يدل على ان له نزعة صوفية وكذلك زيارته لقبور الاولياء الصالحين .و قد روى انه زار قبر أبو العباس السبتي أكثر من خمسمائة مرة كما أشار تلميذه أحمد المقري الى مشاركة أستاذه أحمد بابا في زيارة الاولياء والصالحين قوله: " **... وكنت كثيرا ما اذهب معه الى زيارة الصالحين بحظرة الامامة مصحوبين بجملة اعلام...**" [24]

هـ - علم الكلام والمنطق:

وجد علم الكلام والمنطق طريقهما الى السودان الغربي رغم خلوهما من الصراعات المذهبية التي عرفها بقاع العالم الاسلامي الاخرى[25] وعادة ما كانت مجالس العلم والمناظرات هناك تخلو من الجدل في تفسير الامور العقائدية وقد ظهر عدد من العلماء الذين تظلعوا الى حد بعيد في علم الكلام والمنطق ولعل من بينهم محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي يعد احد اساتذة هذا العلم في السودان الغربي وقد الف في ذلك مؤلفات عديدة نالت حظا وافرا من بعده من الشرح والتعليق و التحشية ومن اهم هذه المصنفات رجز المغيلي في المنطق[26] ومنح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب وثلاثة شروح عليها ولهم مراسلات مع الإمام السيوطي حيث تبادل في مشروعية علم المنطق[27]

و من علماء المنطق احمد بن عمر أقيت الذي اشتهر بإجادته لهذا العلم وقد الف كتابه في هذا المجال (إمناح الأحباب في منح الأحباب) وهو عبارة عن شرح وضعه لكتاب المغيلي المسمى منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، وكذلك محمد بن محمود بن عمر (909 - 973 هـ / 1503-1565 م) وقد اهتم هو الآخر بمؤلفات المغيلي وتتبعها دراسة وشرحا وتعليقا وقد صنف مصنفات منها أرجوزة على شرح منظومة المغيلي).

و كان رحمه الله استاذا بارعا ومتقنا للمنطق والبيان وتخرج على يده عدد من علماء المنطق.

و من ابرزهم الشيخ عبد الرحمن عمران السعدي والد عبد الرحمن السعدي مؤلف كتاب تاريخ السودان[28] ومنهم ايضا الفقيه احمد معيا 1002 هـ /1593 م، هو من علماء تنبكت البارزين ومن مدرسيها المشهورين ومؤلفيها المعروفين، وقد صار له باعا في علم الكلام[29].

أما الشيخ محمود سري بن سليمان 1028 هـ / 1618 م كان من مشاهير العلماء وانتقل من جني إلى تنبكت وتولى التدريب فيها وعاد في آخر أيامه إلى جني، وكان محدثا عالما منطقيا[30].

و من خلال هذا السرد اليسير انتشرت العلوم الشرعية بمختلف انواعها في السودان الغربي وهنا ما ادى الى ازدهار الحواضر والمدن في السودان ثقافيا وعلميا .و لعل من اهم هذه الحواضر التي نأخذها كنموذج عن باقي الحواضر الاخرى مدينة تمبكتو.

4- الحواضر الاسلامية في بلاد السودان الغربي (تمبكتو نموذجا) :

نشأت مدينة تمبكتو في البداية على انها رباط[31] أقامه عبد الله بن ياسين على حافة الصحراء الجنوبية لبلاد المغرب على نهر النيجر حول بئر ماء كانت تقف عنده القوافل التجارية لترتوي منها وتسقي إبلها وكانت تقيم عند هذه البئر امرأة عجوزا تدعى بوكتو وعرف المكان باسمها ونطقت تمبكتو وهي كلمة في لغة الطوارق تعني مكان بوكتو وعبر الزمان اطلق على المكان اسم تنبكتو ويقول الحسن الوزان اسم هذه المملكة حديث العهد فهو اسم مدينة بناها ملك يدعى منسى سليمان في عام 600 هـ على مسافة اثني عشر ميلا من فرع النيجر[32] .

و قد وصفها مؤرخها عبد الرحمن السعدي الذي نشا وترعرع على ارضها منذ نعومة اظافره في كلمة موجزة تعبر تعبيرا صادقا عن تعلقه بها فذكر: **"إنها بلدة مباركة لم تعرف الوثنية أو الشرك ولم يسجد على أديمها لغير الله، أي أنها مدينة نشأت نشأة إسلامية وكانت ملتقى العلماء والزهاد والصالحين ومحط انظار الجميع من التجار والمثقفين من جميع أنحاء بلاد السودان والمغرب ومصر"** [33]

واتفق كل من المؤرخين عبد الرحمن السعدي، وكذلك الفتاش لمحمود كعت ونيل الإبتهاج لاحمد بابا التنبكتي وتذكرة النسيان في تاريخ ملوك السودان لابن الجرو على اطلاع اسم تنبكت عليها إلا أن ابن بطوطة نطقها بضم التاء وسكون النون وضم الباء الموجودة وسكون الكاف و ضم التاء الثانية بعدها الواو فنطقها تنبكتو وهي عند بعض المستشرقين تمبكتو بالتاء وهذا ما ذكرها أرلوند، فيج، دي بوا، بارت، نيز والدكتور حسن ابراهيم حسن وغيرهم، هذا بالإضافة إلى دائرة المعارف الإسلامية.

أما المراجع السودانية فقد درجت على كتاباتها باسم تمبكت كما جاء في تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي وكذلك جميع مؤرخيها.

و يعتبر ابن بطوطة أول من أخذ عنه الأوروبيون ففي رحلته تعرف الأوروبيون على تمبكتو التي كتبت في الخريطة النصف كتالونية التي ظهرت عام 777هـ - 1375 م تحت اسم تنبوش و كان الحديث عن مدينة عظيمة اقيمت على ضفة نهر النيجر[34]

اما الرحالة الاوروبي دي بوا فيقول: " إنه في بداية القرن الخامس للهجرة وجدت قبيلة من الطوارق اسمها الكسرة ذهبت بأغنامها وماشيتها حتى وصلت إلى واحة في الصحراء، هناك صنعتها دلتا نهر النيجر واستقروا فيها ووزعوا غذاءهم لتوفر المياه هناك وبنوا بيوتهم لكي تقيهم من العوامل المناخية وتحميهم من الحيوانات المفترسة واصبحت منازلهم وعبيدهم تحت زعامة سيدة عجوز تدعى تمبكتو، وبمرور الوقت زاد تعداد السكان وكثرت المنازل التي بنوها وأقاموها من الطوب المحروق وأقامو بجوارها مسجدا جامعا وهو الذي أصبح فيما بعد جامعة سنوكري "[35].

أما عن الطوارق فالمعروف أنه يرجع إليهم الفضل في إنشاء مدينة تمبوكتو ولهم الفضل في اقامتها بعد أن أقامو ذلك المعسكر عند نهر النيجر وسمي المكان تمبوتو بلغة سونغاي[36]، لكن حول العري لفظ تمبوتو إلى تمبكتو.

و تقع تمبوكتو في مكان استراتيجي هام عظيم فهي على ملتقى الطرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء، كما تحظى بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي وبذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية والنهرية التي تفد إليها من مصر والمغرب وطرابلس عن طريق الصحراء ومن أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر، وقد أطلق عليها الأوروبيون المدينة عزيزة المنال غامضة الأسرار لا تجاوزها في ثراءها أو جمالها أي بلد افريقي آخر في ذهبها أو ملحها، وقد وصفها أبناءها بأنها خير البلاد وأعظمها ولا نظير لها، تعيش في حركة دائبة وحرية وهي من أعظم بلاد الله أمنا ورفاهية[37].

و يصف المؤرخ دي بوا مدينة تمبوكتو بعد أن زارها حوالي عام 1853م بانها في مظهرها الخارجي كانت مدينة مستطيلة الشكل ذات عمق للداخل ولكنها لمتكن بالصورة العظيمة التي قد رسمها لها، ولكن يجب علينا أن نتوخى الحذر عند الأخذ بكلام دي بوا لأنه زارها بعد أن كان قد استولى عليها جوذر باشا وخربها في الحرب المغربية السودانية إبان الفتح السودان الغربي، و لكنه عاد ووصف منازلها بأنها مربعة الشكل توحي بالعظمة بالرغم من بدائيتها[38] .

و يقول الحسن ابن الوزان عن بيوت تمبوكتو : " وبيوت تمبوكتو هي أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية من الطين مع سقوف من قش ويقع في وسط المدينة الجامع المبني بالحجارة منحوتة مع الطين والكلس على يد مهندس من الأندلس كما أن هناك قصر كبير بناه المهندس نفسه حيث يسكن الملك "[39] .

كما أن هناك الكثير من الدكاكين والصناع والباعة ولاسيما حياكة قماش القطن، وتصل أقمشة أوروبا إلى تمبوكتو التي يجلبها تجار من البربر[40].

و قد احتلت المدينة مركزا مرموقا كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل الصحراوية، وكذلك الطرق النهرية على ضفاف نهر النيجر واصبحت سوقا هاما يؤمها الناس في أمان فلا يخشون اعتداء اللصوص ولا يخافون سطو قطاع الطرق[41] .

و كان المسلم في تمبوكتو يقع عليه مهمة نشر الإسلام وأداء الواجب الإسلامي الذي يفرضه عليه دينه، وكان المسلمون يحضون بقدر كبير من الإجلال والتقدير فكان يطلق على المسلم لقب المعلم والفقيه و الشيخ والقاضي وكانت تمبوكتو بذلك بلدة عظيمة القدر والمكانة الخاصة خاصة في الناحية الثقافية[42].

فقد نشأت تمبكتو في هذا الجو الديني والروحي فأصبحت محط أنظار من كل حدب وصوب خاصة العاكفين على الدين ونشر الثقافة واللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي اصبحت اللغة السائدة فيه[43].

ووجد السودانيون غرب افريقيا في تمبوكتو ضالتهم المنشودة أو المدينة الفاضلة فأخذو يتوافدون عليها حيث وجدوا المساواة في ظل الدين الحنيف فتوحدت القبائل والجماعات وساد العدل

و السلام جو المعاملات في المدينة وقد تأثر أهلها بما تعلموه من ثقافة دينية ولغة عربية سواء من الملثمين أو الطوارق او المرابطين منذ نشأة المدينة في القرن الحادي عشر الميلادي فأصبحت لها شهرة ثقافية لا تضاهيها فيها مدينة افريقية اخرى.

وكان لازدهار التجارة بها وتنوع نطاقها والاهتمام الكبير بشق الطرق وتأمينها بالحراس و حفر الآبار أثر كبير في تسهيل نقل المتاجر وتشجيع الناس على السفر الأمر الذي شجع الرحالة على مرافقة القوافل التجارية فزارها ابن بطوطة وطاف بها ووصفها هي وغيرها من بلاد السودان الغربي وأشاد بمركزها الثقافي ومكانتها العلمية.

و من كل ذلك يتبين لنا أن مدينة تمبكتو التي نشأت على نهر النيجر ووصلت إلى مرتبة عظيمة الشأن هي نتاج استقرار وتوطن قبائل الطوارق النازحين من الشمال صوب الجنوب.

وأما عن مساكن مدينة تمبكتو فهي أبنية بسيطة من الطين والطوب اللين والأخصاص بعد أن كانت تقام المساكن من سيقان النباتات الشوكية والقش وغصون الأشجار ثم تحولوا من الأخصاص إلى بناء الحوائط القصار بحيث كان يرة من بالداخل، وتقدمت المباني بعد مدة وبنيت حولها الأسوار التي تحيط بالمساكن والمنازل والتي تعمل على حمايتها واقيمت حولها الحدائق وزرعت الأشجار[44] ويرجع التقدم في بناء المساكن في تمبوكتو إلى تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد وأخذت المدينة في النمو المطرد بعد أن توافد عليها الناس من جميع الأقطار من فاس وفزان والسوس بل وبعض المصريين فقد جاؤوا إلى تمبوكتو حتى أصبح الفن والذوق الإسلامي ظاهرا بها وتحدث الجميع عن جمالها ووفرة ثراءها وطبيعتها و مناخها الطيب خاصة في فصل الصيف وكان بها سوقا كبيرا جدا أصبح يعج بالتجار والباعة من جميع الأجناس كما يوجد بها كثيرا من الدكاكين الصناع ولاسيما حياكة قماش القطن[45] و أحيطت المدينة بسور كبير يحميها من غارات المغيرين عليها وقطاع الطرق، فضلا على أن السور يغلق أبوابها بعد صلاة المغرب فلا يسمح للحراس السور بدخول المدينة بعد ذلك الوقت[46] وكانت الحدائق المحيطة بالمساكن والمنازل كثيرة مزروعة بالنخيل والأشجار التي ساعدت على تجميل المنازل والمدينة، وإطفاء البهجة والمتعة لناظرها الذين يتوافدون عليها من كل صوب وحدب ليستقروا فيها لينهلوا من علمها وتراثها الثقافي، وكانت الأشجار الضخمة توجد في الطرقات والشوارع وكان كبر حجمها يثير الدهشة خاصة تلك القوافل التجارية القادمة و تعطيهم الانطباع بالأمان بعد رحلة طويلة وشاقة عبر فيافي الصحراء الكبرى القاحلة فترتاح القافلة وتستظل تحت ظل هذه الأشجار[47].

و قد استغل الناس في رحلاتهم وكذلك أهل تمبوكتو هذه الأشجار الضخمة كمخزن كبير للمياه التي تسقط من الأمطار ثم يستعملونها في شرابهم وريهم وحياتهم، وهذه العادة موجودة إلى الآن في إقليم دافور في غرب السودان حيث تستغل أشجار التبلدي لتخزين المياه، وقد اتخذ البعض تلك الأشجار مأوى لهم بدلا من أن يقيموا خيمة في العراء تقيهم الحراراة وتمنع عنهم الأمطار، كما استعملها البعض من سكان تمبوكتو مكانا لإقامة وإنهاء أعمالهم مثل الخياط الذي كان يستعمل إحدى الأشجار كدكان لهم[48] .

و يذكر بعض المؤرخون أن تلك الأشجار الموجودة بتمبوكتو كانت تسمح بأن يستظل تحتها ما يقارب من 500 محارب لضخامتها الشديدة وانتشار ظلها لمسافات كبيرة، و لعل ذلك مبالغ فيه[49].

و قد انتعشت الحركة العمرانية في مدينة تمبوكتو في عهد مالي وسنغاي غلى أن سقطت في يد المغاربة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

و كان لملوك مالي وسنغاي التي دانت لهم تمبوكتو بالتبعية الفضل في إدخال الفن المعماري و الهندسة العربية والمغربية والبناء الحديث في مدينة تمبوكتو خاصة وبلاد السودان الغربي عامةDubois, F.: Op. Cit. P. P. 213-214[50].

و قد أشاد الرحالة الغربيون بالازدهار الذي أصاب تمبوكتو والتقدم الذي كانت عليه، فدي بوا يصف منازلها بأنها منظمة جدا ومقامة على طرق حديثة جدا، أما هنري برث فيقول عن منازلها أنها مختلفة الشكل والأحجام، فبعضها من الطين منخفضة وبعظها عال وبعظها محلى بالزخارف وبعضها محاط بأكواخ قش وشوارعها ضيقة[51] .

و لهذا تحكمت المدينة في طرق الصحراء الكبرى والطرق النهرية، وبهذا أصبحت مركزا تجاريا وثقافيا ذات موقعا استراتيجيا هاما، ونشير هنا إلى أن الثقافة والتجارة متلازمتان، فالتاجر يحمل معه ثقافته كما يأخذ من ثقافات من يتعامل معهم[52].

و من دلائل الازدهار الإسلامي والثقافي في تمبوكتو كثرة مساجدها وجوامعها ومن أهم المساجد بها 'مسجد جانجوربر' ويرجح أن يكون هو المسجد الذي بناه المهندس الغرناطي الطويجين ولقد بني من الحجارة التي جلبها العمال من الجبال وقد ثبت بالطين، وكان قد بني بطريقة حديثة ابتكرها ذلك المهندس لأول مرة في بلاد السودان غير تلك التي كانت سائدة وهي تعتمد على الفن المغربي الذي تميز بالقبة المرتفعة المربعة المزخرفة[53].

و بعد ذلك أخذت عمارة المساجد والجوامع تتطور وتزدهر نتيجة للتأثيرات الأندلسية التي ساهم في إدخالها المهندس الغرناطي إسحاق الطويجين.

و قد نهج منسى موسى نهجا عظيما إذ دأب على أن يشيد مسجدا في كل مدينة ندركه فيها صلاة الجمعة[54].

و قد أصبحت مدينة تمبوكتو الحاضنة الثقافية للسودان الغربي وصارت مصدرا من أعظم المراكز الإسلامية في غرب إفريقيا بسبب تلك الثورة التي أحدثها المهندسون المغاربة القرن السادس عشر والسابع عشر والذين برعوا في هندسة دور العبادة وتلوينها وتصميمها و تجهيزها لإقامة شعائر الصلاة، وإن كان يرجع الفضل في إقامة بعضها للتجار أنفسهم الذين كانوا يفيدون إليها للتجارة فكانوا يجمعون بين وظيفتي التجارة والتعليم في آن واحد.

جامع سنوكري:

كان المسجد منتدى أو ملتقى يجتمع فيه الناس علماء وتجار وعامة لمناقشة أمور دينهم وشرح ما صعب على العامة من أمور الدين، وإلقاء الدروس عليهم، واشتهر في هذا الصدد جامع سنوكري، كما كان يطلق عليه في تمبوكتو وقد فاقت شهرته هندسيا شهرة جامع القرويين و الزيتونة في فاس وتونس، وقد أصبح هذا الجامع بمثابة جامعى علمية عظيمة تشع منه الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا وإن كان لم يعرف من الذي أنشأ هذا المسجد إلا أن السعدي ذكر أن سيدة من قبيلة أغلال أوقفت عليه مالا لتجديد هو الحفاظ عليه وقد شاهده الرحالة رينيه كابي عام 1244 هجري الموافق لعام 1828 ميلادي.

و هناك أقوالا متواترة عن بناء هذا المسجد، فهناك من قال أن هذا المسجد شيد عام 854 هجري / 1450 ميلادي وقد شيدته تلك السيدة من قبيلة أغلال وقد أصبح مقرا لجامعة سنوكري المشهورة، وجدد القاضي العقاب بناء المحراب به[55].

و بعض الأقوال تشير إلى أن القاض العقاب قد شرع في بناء المسجد سنة تسع وثمانون وتسع مائة، وقد بناه على نفس مساحة الكعبة المشرفة، كما بنى مسجد سوق تمبوكتو[56].

ومن المساجد الموجودة في تمبوكتو مسجد سيدي يحي وقد ذكر السعدي أن بناءه تم في عهد الطوارق ما بين عامي 836 هـ- 873 هـ/ 1432م -1468 م، وكان الرحالة كابي قد شاهد ذلك المسجد أيضا عام 1244 هـ / 1828 م.

و بالإضافة إلى هذه النهضة المعمارية في المساجد والجوامع ودور العلم فقد بنيت القصور الفخمة لأثرياء القوم والأمراء وتبارى الجميع في تزيين هذه القصور بالذهب والفضة وقد تبارى المهندسون في إخراج هذا التراث في أبهى صورها لتكون مرآة تعكس هذه الحضارة الإسلامية التي اشتهرت بها مدينة تمبوكتو وبلاد السودان الغربي عامة. [57]

و من أشهر تلك القصور القصر الذي ابتناه نائب السلطان في دولة مالي خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي وكان يسمى "**مع دلك**" أي دار السلطان[58].

و قام الأسيكيون ببناء قصر خاص بهم وصفه كل من شاهده بالروعة والعظمة وقد حلي بالذهب والصور والزخارف التي جعلته يشبه التحف البديعة التي أظهرت الفن والعمارة الأندلسية و التي تمثلت في المساجد والقصور في تمبوكتو[59].

و ها هو دي بوا يقول أن أهم ما لفت نظره في مساكن تمبوكتو هو أن بها منازل لها دورا ثان،

و اهم من هذا كله ضخامة الأبواب المزدانة بالمسامير الكبيرة الحجم وهذا في حد ذاته يوحي بما وصلوا إليه من ذوق رفيع في صناعة الأبواب[60].

و أسهب **دي بوا** في شرح مشاهداته في تمبوكتو فيصف الشوارع الفسيحة ومنازل التجار و المنازل العامة، وقد شاهد منزلا غاية في الروعة المعمارية وتساءل دي بوا هل هذا لأحد الأمراء فكانت لشدة عجبه أنه للشيخ البكائي زعيم الطريقة البكائية في السودان الغربي[61].

و انقسمت المساكن أيضا إلى قسمين، قسم خاص بكبار التجار، وهو يختلف عن المساكن العامة بقببها العالية وساحاتها الكبيرة وأثاثها من وسائل حريرية ومفروشات جميلة وهي مملوءة

بالبضائع، وحجراتها منفصلة ونظيفة وبها صحن الدار الذي يوصل إلى سلم صغير يرتفع إلى السطح وفي وسط المدينة منازل مصنوعة من الخوص كما لا يوجد مثله إطلاقا لا في مصر ولا في اليونان.

و قد لعب الملح دورا هاما في البناء والتشييد، فبعد ان كان يستعمل كالأحجار كالطوب اللين صارت ألواح الملح تشبه ألواح الرخام في صلابتها و بريقها.

و إذا انتقلنا إلى الحديث عن السكان ونشاطهم في مدينة تمبوكتو وعن حياة الأمن والاستقرار في المدينة فغنه يمكن القول أن سكان مدينة تمبوكتو مسالمون لا يحملون معهم أي سيوف أو أسلحة أخرى لحماية أنفسهم ولكن يحملون معهم فقط العصي التي يتوكؤون عليها في سيرهم أو يرفعونها للتحية بينهم، وليس لديهم حراسا أو أتباعا وكانت في المدينة فئات مختلفة منهم المعلمون والرؤساء الذين يراسلون فئات العلم والمهن من الخياطين والدارسين وطلاب العلم وكان يسمى رئيس أي طائفة منهم بالرئيس أو المعلم أو الألفا[62].

و يتصف أهل تمبوكتو بالطيبة والأمانة والاحترام، وهم يعملون في شتى المجالات الصناعية والتجارية وغيرها، إلى جانب عدم تعصبهم طائفيا، وهم غير متطرفين، وقد أعطاهم الإسلام قوة الشخصية، هذا إلى جانب أنهم محبون لأعمالهم ويتقنون العمل ويرجع حبهم هذا لحبهم لدينهم وحفظهم للقرآن الكريم، وكان المعلم يمهد لحفظ القرآن وهم يتنافسون على حفظه كثيرا، وكان الواحد منهم في بعض الأحيان يعاقب أبناءه بالقيد في أرجلهم وأيديهم إذا أهملوا حفظ القرآن، وهم بذلك يدفعونهم إلى حفظ القرآن وختمه وإجادة قراءته[63]، وهم مهرة في شتى الميادين ومختلف المهن والوظائف، فكان منهم التجار والأطباء والقضاة وتجار الكتب وناسخيها وأصحاب المكتبات وكانوا إلى جانب ذلك على قدر كبير من الثراء المادي، بالإضافة إلى الثراء العلمي والثقافة الإسلامية ويتمتعون بنشاط كبيرو ذلك لكون أن العدالة تنتشر في بلادهم التي تحكمها وترعاها حكومات عادلة حاكمة مستقرة أمينة على الرعية آمنة على نفسها[64].

و من شدة حبهم لدينهم وتعلقهم به أنهم كانوا يهرعون للأداء الصلاة في مواقيتها ويتركون أعمالهم لإقامة شعائر الجماعة وصلاة الجمعة التي يبكرون فيها بالذهاب إلى المسجد، إذ أن ذهابهم

متأخرين يجعلهم لا يدركون أماكنا لهم من شدة الزحام بين المصلين، فكانوا يرسلون خدمهم بالسجادات والمصليات المصنوعة بما يشبه سعف النخيل وذلك ببسطها كل بموضعه حسب مكانته حتى يحين وقت الصلاة، وكانوا يتحلون بأجمل الثياب البيضاء التي يلبونها عند الذهاب إلى المسجد خاصة تلك الصياب البيضاء الواسعة، وإذا لم يكن عند الإنسان منهم إلا ثوبا واحد غسله وذهب به إلى الصلاة خاصة يوم الجمعة وهو ذو منزلة عالية وأثر جميل في نفوسهم[65].

و تضاربت الآراء في تقدير عدد السكان بمدينة تمبوكتو، وقد جرى إحصاء لمنازلها خاصة تلك المنازل المهدمة وقدر عدد سكانها على هذا الأساس ب 100.000 نسمة تقريبا، ويبدو أن هذا العدد مبالغا فيه[66].

و عندما زار **هنري بارت تمبوكتو** بعد الغزو المغربي أفاد بأن عدد بيوتها كان حوالي 980 منزلا من الطين و200 كوخ صغير وهي منازلا للفقراء التي ليست لها ساحات أو حجرات علوية وعدد السكان في تقديره يزيد عن 5.000 أحيانا وفي المناسبات يزيدون إلى 10.000 و يصلون في بعض الأحيان إلى 13.000 نسمة[67].

و لكن الرحالة لانز قدر عدد سكان تمبوكتو بحوالي 20.000 نسمة وعدد البيوت بـ 3.050 بيتا، ولكن كأبي أعطى رقما مخالفا وقال أن سكان تمبوكتو يمثلون 12.000 نسمة[68].

و ذكر المؤرخ موني في إحصاء للسكان أعده بالإضافة إلى بعض المعلومات التاريخية التي حصل عليها من مقابلات له مع السكان في مدينة تمبوكتو إن عدد سكانها قد ناهز 100.000 نسمة[69]، وهذا يدل على أنها كانت كبيرة وواسعة، وقد وصلت أرجاؤها وبيوتها المتناثرة في ضواحيها الممتدة منها إلى ميناء كابارا الهام على نهر النيجر.

و لدينا احصائيات موثوقا بها أخذت في عهد أسكيا محمد الذي حكم سانغاي من عام 899 هـ-935 هـ/ 1493 م-1528 م، وقد أمر بأن تعمل إحصائيات ميدانية لمدينة تمبوكتو فأجرى إحصاءا لسكانها ومساكنها وحدث ذلك لأول مرة مدونا على الأوراق الرسمية وقد بدأوا بالقصور الكبيرة والبنايات الفخمة وظلوا مدة 3 أيام متتالية يحصونها ويسمونها بأسماء أصحابها ويمسكون

بزمامها وأركانها في كل حي فيها حتى وجدو عددها قد صار 7.626 منزلا كبيرا مجهزا وهذا بخلاف البيوت المتواضعة التي بنيت من القش وأغصان الأشجار و الأخصاص التي يسكنها الفقراء والعامة من الناس وهذا فضلا عن 26 بيتا من بيوت الخياطين[70].

و قد ازدهرت تمبوكتو بالأبنية الفخمة المتعددة الطوابق وأصبح لها سوقا منتظما، وأصبح لكل من التجار والصناع حيا خاصا بهم، كما أصبح للمراكشيين والمصريين حيهم الخاص بهم، و لكل شارع سوقه اليومي، بالإضافة إلى سوق المدينة الأسبوعي الذي كان يفد إليه الناس أفواجا من القرى المجاورة والمدن كذلك.

و هكذا فقد انتظمت الشوارع وأخذت المباني شكلها المغربي الأندلسي حتى غادت تمبوكتو تشابه المغرب ومدنه في بنيانها وقصورها وثقافتها حتى أن **هنري بارت** وصفها بأنها مدن السونغاي التي تفوق مصرا تمدنا[71].

و كانت تمبوكتو تشمل أجناسا عديدة ومختلفة من العرب والبربر وسونغاي المالينكا وهم سود البشرة، أما البيض فهم الطوارق والمغاربة والمصريون والفلانيون، وكان الجميع يلبسون الزي الموحد للبلاد في انسجام كبير فيما بينهم، كما يلبسون العمامة البيضاء، أما العمامة الزرقاء من القماش الداكن فكان يلبسها المغاربة الموجودون بالمدينة[72]. وكانت تمبوكتو موطنا لعناصر كثيرة من الذين وفدوا إليها وأقاموا فيها فمنهم المصريون والتونسيون والمغاربة والطوارق و أهل ولاتة ومسوافة وأهل درعة وفاس والمادنج وغيرهم من التجار الذين دخلوها وعملوا بها وأيضا من طالبي العلم والمعرفة والفقهاء وغيرهم[73].

هذه نبذة عن نشأة حاضرة من حواضر السودان الغربي التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الثقافية و الفكرية وهي مدينة تمبوكتو التي أخذناها نموذجا عن باقي الحواضر الأخرى كونها الأكثر رقيا بعلماءها ومفكريها ومثقفيها الذين شكلوا بأعمالهم ومؤلفاتهم الحجر الأساس لقيامها .

الخاتمـــــــة:

نستنتج من خلال ما ذكرناه بأن العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي كانت منذ زمن بعيد أي منذ القرن الأول هجري، وهذا ما جعل الفقهاء والعلماء في بلاد المغرب يتدفقون على بلاد السودان الغربي عبر مرور الزمن خاصة مع أوائل القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وهذا ما أدى إلى إثراء الحضارة السودانية بكثير من العلوم الشرعية و الدينية كما سلف الذكر.

و ذاع صيت العلماء المغاربة كل أنحاء السودان الغربي حيث أسلم على أيديهم العديد من الملوك والأمراء السودانيين حتى وصلوا إلى دفة السياسة والحكم فأصبحوا بذلك مستشارين ووزراء وقضاة على المذهب المالكي الذي وصل إلى بلاد السودان عن طريق التجار ودعوة الدولة المرابطية، هذه الأخيرة التي وحدت كلمة السودانيين تحت راية واحدة ألا وهي راية الإسلام في مذهبه المالكي على الطريقة الأشعرية.

أما من الناحية العلمية والدينية فكان دور العلماء والفقهاء المغاربة بارزا وهاما في نشر الثقافة العربية الإسلامية وذلك بنشر الحرف العربي وتعاليم الفقه والحديث وأصول الفقه والتفسير وعلم الكلام التي كانت سنية في منهجها مغربية في طرق تدريسها.

و في الأخير أخذنا صورة من صور الحضارة في بلاد السودان الغربي والتي تمثلت في مدينة تمبوكتو كنموذجا للدراسة التي شملت جميع الجوانب السياسية، الاقتصادية والثقافية والفكرية حتى من جانب الفن العمراني الذي أخذ حصة الأسد من هذه الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

*** القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، مصحف المدينة المنوّرة الإلكتروني، الإصدار (2.1).**

1- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ج2، بيروت، 1989.

2- ابن بطوطة، أبو عبدالله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، ترجمة طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992

3- ابن منظور، لسان العرب، دائرة المعارف، القاهرة.

4- البرتلي، محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الكتاني، محمد حاجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

5- التمبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الدباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، ج2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2000.

6- الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ج7، الرياض، 1979.

7- الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، طبعة 2، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

8- السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، وقف على طبع هوداس، مكتبة امريكا والمشرق، باريس، 1908.

9- القلقشندي، أبو العباس أحمد، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 3، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1983.

10- المقري، احمد بن محمد، روض الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لاقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1988.

11- المغيلي، محمد بن عبد الكريم، رجز المغيلي في المنطق، مخطوط، معهد البحوث في العلوم الإسلامية، نيامي، النيجر، تحت رقم 202.

12- كعت، محمود، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، نشر هوداس و رولا فوس، باريس 1913.

قائمة المراجع العربية:

1- أرنولد توماس، الدعوة الإسلامية، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عبدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

2- حسين سيد عبد الله مراد الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ق 2هـ- 6هـ/ 8م- 12م، مؤتمر دولي، الإسلام في افريقيا، القاهرة، مصر، نوفمبر 2006.

قائمة الرسائل الجامعية:

1- محمد أنور أبو العلم، دولة سونغاي الإسلامية وتطورها الاقتصادي والاجتماعي و الحضاري 1493م- 1594م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 1977.

قائمة المراجع الأجنبية:

1- *Ajayi, I.F. M. Crouder* : *History of West Africa* (*London* 1974).

2- *Barth, H.* : *Travels and discoveries in North and Central Africa* (*London* 1965) .

3- *Dubois , F.*: *Timboctoo the Mysterious* (*Translated by Diana wite*) (*London*1890).

4 - *Hohn, Shalle*: *The Road Timbuctoo* (*London* 1956) .

5-*Lanz ,Oskar*: *Tombouctou, Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan traduit de L 'allemand* (*Paris* 1886).

الهوامش:

[1]- أرنولد توماس، الدعوة الإسلامية، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عبدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص 371.

[2]- حسين سيد عبد الله مراد، الصلاة بين بلاد المغرب والسودان الغربي ق 2 هـ - 6 هـ / 8 م - 12 م، مؤتمر دولي، الإسلام في افريقيا، القاهرة، مصر، نوفمبر 2006، ص 373.

[3]- العلماء والفقهاء: كلمة العلماء مفردها عالم ويقصد بهذه الكلمة لغويا الذي يعمل بما يعلم وهي مشتقة من كلمة العلم وهو نقيض الجهل وأما كلمة الفقهاء فهي مشتقة من الفقه ويعني لغويا العلم بالشيء والفهم له والعلم بمعنى علم الدين بسيادته و شرفه وفضله على سائر أنواع العلوم وجعله العرف خاصا بعلم الشريعة والفقه في الأصل فهم ويقال فلان فقها في الدين أي فقيها. قال الله تعالى:" **لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" أي ليكونوا علماء فيه، ابن منظور، لسان العرب، دائرة المعارف، القاهرة، ص 3083، ص 3450.

[4]- أجرى بعض الباحثين مقارنة بين التواريخ التي أوردتها بعض المصادر التاريخية كتواريخ قيام دولة المرابطين ومقارنتها بتاريخ رحلة يحي ابن ابراهيم ومروره بالقيروان عائدا من الحج سنة 427 هـ / 1035 م وبما اتفقت عليه كتب الطبقات من تاريخ وفاة أبي عمران الفاسي 430 هـ / 1039 م واستنتجت أن يكون تاريخ قيام هذه الحركة هو 427 هـ / 1039 م.

[5] - ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ج2، بيروت، ص 181.

[6] - فاس: تقع بالمغرب الأقصى وهناك رأيان حول تأسيسها، الاول يرى أن مؤسسها هو إدريس ابن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب وذلك عام 172 هـ / 789 م، أما الرأي الثاني فيقول أن مؤسس فاس هو مولى إدريس الثاني نجل إدريس الأولو ذلك عام 192 هـ / 809 م وذاع صيتها لاحتضانها جامع القرويين الشهير، انظر: الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، طبعة 2، بيروت، لبنان، ص 434-435.

[7] - مراكش: تقع بالمغرب الأقصى، بناها يوسف ابن تاشفيين أمير المرابطين حوالي 459 هـ / 1067 م، لعبت دورا هاما في الصلات مع بلاد السودان الغربي، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 540-541.

[8] - تلمسان: تقع في الجزء الغربي للجزائر، اشتهرت بسيرتها مع السودان الغربي وذلك بسبب موقعها المصاقب لها، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 135- 136.

[9] - القلقشندي، أبو العباس أحمد، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 3، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1983، ص 398.

[10] - التمبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الدباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، ج2، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2000، ص 214.

[11] - السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، وقف على طبع هوداس، مكتبة امريكا والمشرق، باريس، 1908، ص 218.

[12] - السعدي، المصدر نفسه، ص240-250.

[13] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص32.

[14] - البرتلي، محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الكتاني، محمد حاجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 39.

[15] - المصدر نفسه، ص 32.

[16] - نفسه، ص 33.

[17] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 39

[18] - التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 1، ص 284.

[19] - التمبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 587.

[20] - التمبكتي، المصدر نفسه، ص 353.

[21] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 517.

[22] - كعت، محمود، تاريخ الفتاش في اخبارالبلدان والجيوش واكابر الناس، نشر هوداس ورولا فوس، باريس 1913، ص 10

[23] - التنبكي، كفاية المحناج، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[24] - المقري، احمد بن محمد، روض الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لاقيتهمن أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1988 م، ص 303.

[25] - لقد سبقت الاشارة الى توحد المنطقة - تقريبا - منذ عهد المرابطين تحت المذهب المالكي.

[26] - المغيلي، محمد بن عبد الكريم، رجزالمغيلي في المنطق، مخطوط، معهد البحوث في العلوم الإسلامية، نيامي، النيجر، تحت رقم 202.

[27] - التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص- ص 578 -579

[28] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص41

[29] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 211.

[30] - نفسه، ص291.

[31] - الرباط مستخرج من الآية القرآنية الكريمة: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** "

[32] - الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ج7، الرياض، 1979، ص539.

[33] - محمد أنور أبو العلم، دولة سونغاي الإسلامية وتطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري 1493م- 1594م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 1977، ص 107.

[34] - محمد أنور ابو علم، المرجع نفسه، ص 157.

[35] - *Dubois , F.: Timboctoo the Mysterious* (*Translated by Diana wite* (*London*1890.*P.P.* 231- 234

[36] - *Hohn, Shalle*: *The Road Timbuctoo* (*London* 1956) *P.* 209.

[37] - *Barth, H.* : *Travels and discoveries in North and Central Africa* (*London* 1965) *P.*284.

[38] - *Op. Cit P.P.* 210.211. *Dubois , F.*:

[39] - إن المهندس الذي بنى العمارتين هو أبو اسحاق السهلي الغرناطي الذي اصطحبه المنسى موسى من مصر أثناء مروره بالقاهرة وينسب إليه بناء جامع غاو، أما الجامع الذي شيد بناءا على أوامر موسى كنكن فقد تخرب فيما بعد وأعاد بناؤه عقيل بن محمود.

[40] - الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 540.

[41] - ابن بطوطة، أبو عبدالله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، ترجمة طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 442.

[42] - محمود كعت، المصدر السابق، ص، ص، 178- 181.

[43] - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 198.

[44] - عبد الرحمن سعدي، المرجع السابق، ص 20.

[45] - الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 540 .

[46] - محمود كعت، المصدر السابق، ص 115.

[47] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 443.

[48] - نفسه، ص 443.

[49] - القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 289.

[50] - عبد الرحمن سعدي، المصدر السابق، ص 21.

[51] - *Barth, H.: Op. Cit. P.* 302.

[52] - *Ajayi, I.F. M. Crouder : History of West Africa (London* 1974) *P.* 133.

[53] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص540.

[54] - المسجد هو ما تقام فيه شعائر الصلاة فقط، أما الجامع فهو ما يقام فيه صلاة الجمعة بجانب تلقي العلم والدراسة وهو بمثابة مكان يجمع فيه الدين والدنيا، انظر محمود كعت، المصدر السابق، ص 121.

[55] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 24.

[56] - محمود كعت، المصدر السابق، ص 122.

[57] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 54.

[58] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 27.

[59] - الحسن الوزان، نفس المصدر، ص 54.

[60] - *Dubois, F.: Op. Cit. P. P.* 213-214.

[61] - *Dubois, F.:lbid. P.* 215.

[62]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 180.

[63] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 450.

[64] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 41.

[65] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 401.

[66] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 31.

[67] - *Barth, H.: Op. Cit. P. P.* 325-326.

[68] - *Lanz ,Oskar: Tombouctou, Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan Traduit de L 'allemand (Paris* 1886) *P.* 149.

[69] - *Mauny, Notes d'archeologe au Sujet de Gao (Dakar* 1951) *P.* 499.

[70] - محمود كعت، المصدر السابق، ص 146.

[71] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص- ص 20-21.

[72] - *Dubois, F.: Op. Cit. P.* 216.

[73] - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 21.